الإعلام الإفريقي ودوره في خدمة القضايا التنموية الاستراتيجية للقارة

الصـورة والمعلومـات التـي يقدّمها الإعـلام، من خلال تقنياتـه المختلفة، هي في الغالب – حتى ولو كانت مشـوَّهة – ما تُتخذ في ضـوئها القرارات، وتُبنى عليها المواقف العملية؛ حيث يتم التعامل مع ما يقدّمه الإعلام بوصفه حقائق موثوقة.

ومما يزيد من خطورة الإعلام في فاعلية تأثيره واتسـاع مداه في عصرنا الحاضر: تقنياته المتطورة، وترابط شبكاته، وتبادلها للبرامج والمعلومات، وهي تنطق بلسانٍ واحدٍ مع تعدّد لغـات خطابها؛ ما يجعل المعلومة تبلـغ – من خلالها – ما بلغ الليـل والنهار، وتصـل إلى جميع شـعوب العالـم على مختلف لغاتهم في زمنٍ قياسيّ، إضـافة إلى تنوّعه شكلاً: من مسموعٍ ومرئيٍّ ومقروءٍ، ومضـموناً: بتغطيته قضـايا الحياة وأحداثها المتجددة كافّة، واهتمامات الإنسان حيثما كان.

إنّ الوعـي بـكلّ هذه المعطيـات عن الإعـلام: يدعو إلى ضـرورة توظيفه بصـورة سـليمة –وإلا أصـبح وبالاً– لخدمة قضايا بيئته الاسـتراتيجية والتنموية: الاجتماعية والسياسية والاقتصادية.. وغيرها، وذلك ما تنتظره القارة الإفريقية التي تحتاج أكثر من غيرها إلى إعلام هادفٍ وقويٍّ، يُسـهم بفعاليّة في بناء نهضـتها التنموية، وتوجيه مسيرتها لتحقيق أهدافها، وخصوصـاً أنّ هنـاك ارتباطاً وثيقاً بين التنميـة الاجتماعية والاقتصادية، وتعزيز المشهد الإعلامي الإفريقي.

وتتوقـف فاعلية الإعلام الإفريقيّ وفعاليّته على جملة من السّمات والخصائص، أهمها:

– **أن يكون هادفاً، وذلك يعني انتماءه إلى الخصوصية المتميّـزة التي تجسّـد شخصـية القـارة الإفريقية**: بحيث يجعل منها رسالةً تعمل على توجيه شعوب القارة إليها، وتعميق الوعـي بهـا، وتكثيـف الجهـود للمحافظـة عليهـا، والاهتمام بترسـيخها على المسـتوى المحلّـي الإفريقـي، وعالميّاً خارج حدود القارة.

إنّ تعاطـي الإعلام – في مضـامينه– ما رفدت به القارةُ الحضـارةَ الإنسـانيةَ من مسـاهماتٍ قيّمة في ظلّ عصـورها المختلفة، وبخاصة الإسلامية، والعمل على التمكين لذلك في حاضـرها ومسـتقبلها، هو أسـاس الانتماء والتنمية الحقيقية للقارة، بـكلّ أبعادهـا، وبعثها من جديد؛ لما يحمله الإسـلام خاصّـة مـن منهجية البنـاء والتغييـر، ومقوّمـات التنمية في مستوياتها وجوانبها المختلفة.

– **الفَهْـم العميق للواقع الإفريقي**: بحيث يمثّل بأبعاده التاريخية والجغرافية، مجالاً واسعاً لفاعلية الإعلام الإفريقي الهادف؛ يركّز فيه على ما في تعزيزه من دعم لعناصـر القوة وأسـباب النهوض وفرصـه، فالقـارة تتمتع بمقوّمـات معنوية ومادية: روح التدين في الحياة الإفريقية، وبسـاطة الإنسـان، وقيمه الاجتماعية، وصـدق الانتماء، وقوة الـولاء لها، ولتراث القـارة الضـارب فـي أعماق التاريـخ؛ حيث تُعدّ القـارة – في نظـر معظم الباحثيـن والمؤرّخين– مَهْد الحضـارات، وإرثها الحضـاريّ ملـيءٌ بالخبرات والتجارب المفيـدة، وهي بجانب ذلـك مليئـة بخيـرات وكنـوز فـي باطـن أرضـها وظاهرها، وتعدادها البشـري قد تجاوز المليار، وفـي جميع ذلك ما فيه مـن مكوّنات تمثّـل مرتكزات لبحث قضـايا التنمية في القارة واستراتيجياتها، وتركيز الجهود الإعلامية فيها.

– **تعزيـز عناصـر القـوة وأسـباب النهوض، ومحاربة مظاهر الضعف**: واستكمالاً لشرط فاعلية الإعلام الإفريقي، من خـلال فَهْم الواقع، يقابل تعزيز ما فيه من عناصـر القوة وأسـباب النهوض: محاربـة مـا فيـه مـن مظاهر الضـعف؛ مما يبـدد طاقات الإنسـان الإفريقـيّ (الروحية، والنفسـية، والفكرية) من معتقدات ومفاهيم، وعادات وتقاليد اجتماعية ضـارة، وجهل، ورواسـب اسـتعمارية، ونزاعات وصـراعات، ويُضـعف قدراته الجسـدية من أوبئة وأمراض، وعوامل بيئية تحدّ من حراكه ونشاطه.

– **التماسـك الداخلـي**: وفـي التماسـك الداخلي تتمثل فاعليـة الإعـلام الإفريقـي فـي أن يكـون عامـلاً قويّـاً يتمتع بالقـدرة على التواصـل المباشـر والفاعل مـع الجمهور، وفي

تكثيف الحوارات الحاسمة والبنّاءة بين الشرائح المختلفة، والتنسيق بين المؤسسات المختلفة، وبناء الشراكات مع الحكومات ومنظمات المجتمع المدني والقطاع الخاصّ المحلّي، ويعمل على صون الموارد المعلوماتية، كالمكتبات والنشرات الإلكترونية، والتعريف بتراث القارة الثقافي ورصيدها الفكري والعلمي.

- **إيجاد رؤية موحّدة تجاه ما يتهدد المجتمعات الإفريقية:** وإنّ من أهم ما يحقّقه الإعلام الإفريقي الهادف وفعاليّته في التنمية والقضايا الاستراتيجية: إيجاد رؤية موحّدة تجاه ما يتهدّد المجتمعات الإفريقية، ترتكز وظيفتها في بلورة مفاهيم الجمهور وتصوراتهم في مناحي الحياة المختلفة، وتزويدهم بالخبرات السياسية التي من خلالها يتشكّل الرأي العام، وتتم المشاركات البنّاءة، ويتحقّق التماسك الاجتماعي بين أطياف المجتمع؛ لدعم مواقف سياسية معينة أو رفضها.

- **القيام بدور فاعل في تحقيق الأمن الشامل:** ويُتوقع من مؤسسات الإعلام الإفريقية أن تقوم بدور فاعل في تحقيق الأمن الشامل في القارة، ويتمثل دورها المحوريّ في نشر الوعي والثقافة الأمنية لدى المواطن الإفريقي، وتسليط الضوء على التحديات والمهدّدات الأمنية التي تواجه أجهزة الأمن؛ بما يدعمها في تحقيق الأمن والأمان للشعوب الإفريقية، ويمثّل الإعلام بكلّ أدواته وتقنياته آلية قويّة للإنذار المبكر تجاه كلّ المخاطر البيئية وغيرها؛ بما يوفّره من معلومات بشأنها.

- **المشاركة الفاعلة في التخطيط الاستراتيجي:** ويتحقّق ذلك بتطوير آلياتها، وإقامة مراكز إعلامية تقوم بتنظيم الفعاليّات بالشراكة مع الجهات المعنيّة، من ندوات وورش عمل ومؤتمرات، لتسليط الضوء على القضايا ذات الأولوية، كما تقوم بتوفير البيانات والمعلومات المتعلقة بها، واستكتاب الباحثين والخبراء فيها، وترجمة المقالات والبيانات من اللغات الأخرى إلى لغاتها.

- **تنشيط الدور الثقافي:** فالإعلام الهادف وفعاليّته هو الذي يقود حواراً بنّاءً بين الثقافات المحلية، ومع الثقافات الوافدة، ويعمل على مقاومة تأثيرات العولمة التي تهدف إلى إلغاء الآخر؛ من خلال إلغاء الخصوصيات الثقافية والاجتماعية للشخصيّة الإفريقية. وتمثّل قدرة الإعلام الإفريقي على إزالة ما رسّخه الإعلام الخارجيّ من صورة نمطية مشوَّهة للقارة عنصراً مهمّاً من عناصر الفاعلية؛ إذ يُعدّ ذلك هدفاً أساسيّاً للإعلام الإفريقي ودراساته البديلة، وهو يتطلب بداية القيام بدراسات ناقدة، تعمل على كشف أوجه الزيف والتشويه، وتعرية الخلل المنهجي الذي انطوت عليه الدراسات الغربية، وصولاً إلى تقديم الصورة الصحيحة.

- **دعم سياسات دول القارة الخارجية وعلاقاتها واستراتيجياتها:** ويدخل ضمن القضايا الاستراتيجية للإعلام الإفريقي: دعمه لسياسات دول القارة الخارجية وعلاقاتها واستراتيجياتها؛ بما يفتحه من نوافذ وقنوات تطلّ إفريقيا من خلالها بصورةٍ مشرقةٍ على العالم، وما يقيمه من جسور التواصل مع شعوبه المختلفة، وما يبنيه من ثقة، ويولّده من رغبة لدى حكومات دول العالم، وبخاصة العربية والإسلامية، في إقامة علاقات تعاون وتطويرها مع القارة الإفريقية، ويتضمّن ذلك إزالة ما شاب العلاقات (الإفريقية – العربية) من حساسيّات، وما كوّنه الاستعمار من صورةٍ ذهنيةٍ مشوَّهة في علاقة العربي بإفريقيا.

ومن أهم ما ينبغي أن يقوم به في ذلك: استعادة الثقة في قدرات الشعوب الإفريقية والعربية وحكوماتها على تحقيق مستقبلٍ أفضل، وإيجاد مرتكزات التعاون بينها، وتبنّي سياساتٍ وبرامج إعلامية لتوجيه خطابٍ إعلاميّ جدّي وموحّد في الدفاع عن القضايا الإفريقية والعربية الرئيسة، ويهيئ لقيام تكتلٍ إقليميٍّ (إفريقي – عربي)، يقف ندّاً قويّاً للتكتلات الأخرى، ويردّ التآمر الصهيونيّ الغربيّ على شعوب المنطقتين.

كلمة أخيرة:

إنّ القارة الإفريقية تحتاج إلى إعلام هادف وفعّال، يرسّخ لصناعة إعلامية فاعلة، ويُسهم في تطويرها، ويقدّم نموذجاً حيّاً لها، ليس في دورها الرقابيّ فقط، وإنما في تفاعلها مع بيئاتها، ومشاركاتها الواسعة في خدمة قضاياها الحيوية التنموية والاستراتيجية.

ويبقى من بعد ذلك، مما يزيد من فعالية الإعلام الإفريقي الهادف، تقديم مضامين واضحة ومؤثّرة في نقل المعلومات، أو الإقناع أو التقويم، وفق منهجيّة سليمة، واتخاذ ما يناسب الحال والمقام؛ من الوسيلة وأسلوب الخطاب ■